العمل الاجتماعي في الإسلام تأصيلا وتطبيقا

Social work in Islam, rooted and applied

د.عبد القادر الشايط

جامعة محمد الأول وجدة (المغرب)، Abdelkader_chait@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/01 تاريخ القبول: 2020/06/19 تاريخ النشر: 2020/12/30

ملخص:

أعطى الإسلام مسألة العمل الاجتماعي أهمية بالغة لتحقيق الاجتماع والألفة بين الناس، ونبذ التفرق والاختلاف، وقد أجمع المسلمون في كل مكان وزمان على ضرورة التكافل والتضامن، ولزوم القيام بالعمل الاجتماعي المعبر عن دين الأمة ومكانتها الحضاري. وحسْبُنا أن نجعل من دراستنا هذه مساهمة متواضعة في تجلية الوعي بأهمية الرجوع إلى الأصول والروافد الأولى لقِيمنا الأصيلة، المستلهَمة من ديننا الحنيف؛ لإشاعة ثقافة المشاركة الاجتماعية، والتجاوب مع المشاريع الاجتماعية، التي رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والنهوض بالمشروع الاجتماعي الإسلامي.

كلمات مفتاحية: العمل، الاجتماعي، التكافل، الأمة، النظام، المعاصرة.

Abstract: Islam has given the issue of social work extremely important to achieving socialization and familiarity among people, and rejecting division and difference. Muslims everywhere and time have unanimously agreed on the necessity of solidarity and solidarity, and the necessity to carry out social work that expresses the nation's religion and its civilized position. This research seeks to demonstrate the importance of the Islamic social system and its ability to solve the problems of contemporary social life.

Keywords: Islam; social work; the importance; contemporary social.

مقدمة

يعتبر العمل الاجتماعي ركيزة أساسية في تنمية الشعوب الإنسانية، لما له من دور في بناء المجتمع ونشر التماسك والترابط الاجتماعيين، وهو ممارسة إنسانية فطرية ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ الأزل، ولكنه يختلف في أقسامه وخصائصه ومقاصده من مجتمع إلى آخر ومن فترة إلى أخرى. ولعل قلة

المنارة للاستشارات

ww

عناية طائفة كبيرة من العلماء المسلمين بالبعد الاجتماعي، واستغراقهم – في المقابل - في جوانب أخرى، كان أحد أسباب تجاهل الدور المهم الذي يمكن أن ينهض به العمل الاجتماعي في تقديم رؤية دقيقة للمشكلات الاجتماعية، وتحديد سبل علاجها.

والملاحظ أن الدول العربية نهجت سياسة جديدة في التعامل مع الشأن الاجتماع، بعد تفاقم الأوضاع الاجتماعية الناجم عن الإجراءات المشددة التي اتخذتها لمحاصرة فيروس كورونا ومنع انتشاره، وراهنت على الحراك المجتمعي، وقررت أن تدخل مع مواطنيها في شراكات اجتماعية، وتكل إليهم القيام بأعمال موازية لعمل الدولة، للتقليص من نسبة الوضع الاجتماعي المزري الذي خلفته هذه الجائحة.

ومن هنا، نجد أن من الأولويات المهمة في بحثنا هذا، هي الإكباب على العمل الاجتماعي في الإسلام بالدراسة والتحليل؛ لاستكشاف الصيغة المناسبة للتنمية الاجتماعية من المنظور الإسلامي، وإبراز أثره البارز في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية في سائر المجالات.

دوافع اختيار موضوع البحث

تقبع وراء اختياري لموضوع هذا البحث دوافع ذاتية، وأخرى موضوعية:

الدوافع الذاتية:

- انطلقت فكرة هذا البحث **" العمل الاجتماعي في الإسلام تأصيلا وتطبيقا"** من اقتناعي الشخصي بأهمية غرس القيم الاجتماعية التكافلية، ودورها في بناء المجتمع المتضامن، الذي يستمد قوته وحضارته انطلاقا من لبناته التي أساسها الأفراد.

الأسباب الموضوعية:

التأزم الاقتصادي، والاحتقان الاجتماعي، اللذان تعيشهما غالبية دول العالم العربي والإسلامي، لاسيما بعد انتشار وباء كوفيد 19 (كورونا)، وفرض الحجر الصحي، وما يمكن أن تخلفه هذه الجائحة من انعكاسات اجتماعية خطيرة، إذا لم يتحرك المجتمع الإسلامي، بآلياته التضامنية.

المنارة للاستشارات

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

حاجة الناس في وقتنا الحاضر إلى معرفة العمل الاجتماعي في الإسلام، ودوره في ترسيخ قيم التكافل والتضامن الاجتماعي، الذي له أثره البارز في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية في سائر المجالات، لإعادة الدور الحضاري لأمتنا الإسلامية، في ظل استيراد الدول الاسلامية المناهج الاجتماعية الغربية، والتبعية المطلقة لها.

وعلى ضوء ما سبق نطرح الاشكالية التالية:

- هل استيراد المنهج الاجتماعي الغربي، والتبعية المطلقة له، أمْلَتاهما ظروف تاريخية وحضارية سببُها عدم توفر المسلمين على منهج اجتماعي متكامل مستوحى من نصوص الشريعة الإسلامية ؟

وتتفرع عن الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم العمل الاجتماعي وما حجيته من الكتاب والسنة والاجماع ؟
- هل العمل الاجتماعي محصورا في الجوانب المادية ؟
- ما هي أهم المؤسسات الإسلامية التي يمكنها تفعيل الدور التكافلي للعمل الاجتماعي؟
- ما هي أهم مقاصد العمل الاجتماعي؟

أهمية البحث وأهدافه

- يسهم أيضا في التعريف بالعمل الاجتماعي وإبراز أهميته وأدواره ومقاصده في التصور الإسلامي.

- يقدم للمهتمين بالعمل الاجتماعي مادة دسمة، للذين يرغبون في الاطلاع على أهم مجالاته وأبرز تطبيقاته وأنواع مؤسساته، للاستفادة من كل ذلك بغية تطوير أساليب العمل الاجتماعي في الواقع الاجتماعي.

منهج البحث

يقوم منهج البحث على قاعدة التوفيق بين التوصيف والاستقراء والتحليل والمقارنة.

المنارة للاستشارات

خطة البحث

المقدمة: وهي مقدمة عامة حول أهمية العمل الاجتماعي.

المطلب الأول: مفهوم العمل الاجتماعي لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: مشروعية العمل الاجتماعي في الإسلام

المطلب الثالث: أقسام العمل الاجتماعي

المطلب الرابع: خصائص العمل الاجتماعي

المطلب الخامس: مسؤولية العمل الاجتماعي ومقاصده

خاتمة: تضمنت أهم الخلاصات والنتائج المتوصل إليها في الدراسة، علاوة على جملة مقترحات وتوصيات لتطوير العمل الاجتماعي الإسلامي.

المطلب الأول: مفهوم العمل الاجتماعي لغة واصطلاحا

الفرع الأول: مفهوم العمل الاجتماعي

أولا: معنى العمل لغة واصطلاحا

أ- العمل لغة: "العين والميم واللام أصل واحد صحيح وهو عام في كل فعل يفعل" (ابن فارس، 1991: 145/4) "والعمل: المهنة والفعل والجمع أعمال"(ابن منظور، 1414هـ: 476/11). "ومعناه كذلك ممارسة نشاط ما أو القيام بجهد للوصول إلى نتيجة نافعة "(أحمد مختار، 2008: 1554/2). والعمل في نظر الفقهاء أعم من الحرفة، لأن العمل يطلق على الحرفة سواء حذق به الإنسان أم لم يحذق.

والعمل يعني القيام بمجهود ما من أجل إنجاز شيء ما، وقد يكون فكريا كما يكون عضليا "(رشدي، 1980: 280/1). ولا يقال العمل بمعناه الدقيق المتقن إلا لما " كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم "(أبو البقاء، 2011: ص519).

ومن خلال هذه التعريفات السابقة يتبين أن العمل هو كل نشاط أو جهد يبذله الفرد للحصول على منفعة أو فائدة محددة.

ب- العمل في الإصطلاح: يحمل تعريفات عدة لكن في مجملها تصب في معين واحد، فهو "كل جهد مشروع يبذله الإنسان، ويعود عليه أو على غيره بالفائدة والمنفعة."(حميد

المنارة للاستشارات

ناصر، 1998: 17).

والعمل في الإصطلاح قسمان:

عمل "نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر من التكبير والتسبيح والتهليل والإستغفار، والمشي إلى المسجد" (ابن رجب، 1422: 2/66) وغيرها من القربات.

وعمل "نفعه متعد كإصلاح ذات البين، وإعانة الرجل على دابته يحمله عليها، والكلمة الطيبة، ويدخل فيها السلام، وتشميت العاطس، وإزالة الأذى عن الطريق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..." (ابن رجب، 1422: 2/86) وغيرها من المعاملات المشروعة.

فالعمل إذن هو كل ما يقوم به الفرد أو تشترك فيه جماعة من الناس، قصد تحقيق مصلحة معينة، دينية كانت أو دنيوية، ويأخذ أشكالا متنوعة، بحيث "يهدف إلى تقدّم وتطور الظروف الاجتماعيّة لمجتمع ما وخاصّة المجتمع المحروم، بتقديم استشارات نفسيّة، ومساعدات اجتماعيّة." "(أحمد مختار، 2008: 2/394).

إن الله عز وجل خلق عباده وفضل بعضهم على بعض في الرزق، لكي تستقيم الحياة الدنيا ويسخر الناس بعضهم بعضا، فتسعد حياتهم الدنيا، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾[الزخرف: 32] قال البغوي (ت 436هـ) في شرح هذه الآية:" ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام أمر العالم" (البغوي، 1997:212).

إن القرآن الكريم شجع على العمل والجد والكسب الحلال، وبذل الإنسان طاقته من أجل عمارة الأرض والقيام بمنهج الإستخلاف وتحمل الأمانة كما أمره تعالى، ولهذا نجد أن العمل قد ذُكر في ثلاثمائة وتسع وخمسين آية (عبد الباقي ، 1364: 483) مقترنا بالإيمان وأكدت هذه الأخيرة أن الإيمان الصادق لابد وأن يُترجم إلى عمل صالح، كما عملت على الترغيب فيه والترهيب من استنكافه من أجل صلاح المجتمع الإسلامي وتقدمه (حميد ناصر، 1998: 14)،

المنارة للاستشارات

ww

فينال خير جزاء الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: 97)

وقد وضع الإسلام شروطا لقبول العمل:

- أن يكون مطابقا لكتاب الله وسنة رسوله، وكل عمل مخالف فهو رد على صاحبه، ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: 7).

- أن يكون خالصا لوجه الله تعالى لا يريد به سمعة ولا شهرة قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾(الزمر: 11).

- وأن يكون العمل متقنا: يعني حسن أدائه والإتيان به على الوجه الأكمل، وهي ميزة مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى بها نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(السجدة: 7).

فالإسلام يدعو إلى الجد في العمل لأنه سلم رقي الأمم فهو"لا يعرف الطبقية إلا في إتقان العمل" (الشعراوي، 1997: 9672)، وهذا دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل؛ فالإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، لا سيما إذا عمل بما علم، وهذا كما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه" (القرطبي، 2007: 313/7).

ثانيا: معنى الاجتماعي لغة واصطلاحا

أ- الاجتماعي لغة: مأخوذ من مادة (ج م ع): "اجتماعيّ [مفرد]: اسم منسوب إلى اجتماع: العَقْد الاجتماعيّ: جملة الاتفاقات الأساسيّة في الحياة الاجتماعيّة وبمقتضاها يضع الإنسانُ نفسَه وقواه تحت إرادة المجتمع- حياة اجتماعيّة: ما يتّصل بالوضع الاجتماعيّ عامة- خِدْمات اجتماعيَّة: أعمال رسمية أو غير رسمية غايتها مساعدة المرضى والفقراء على القيام بنشاط طبيعيّ- رجُل اجتماعيّ: أي مزاول للحياة الاجتماعيّة، كثير المخالطة للنَّاس." (أحمد مختار، 2008: 394/2). ومنه يمكن أن نشتق مرادفات دالة على الكثرة والتعدد والمخالطة، وكل "اسم لجماعة الناس، والجموع اسم لجماعة الناس والمجمع حيث يجمع الناس وهو أيضا اسم للناس، والجماعة عدد كل شيء وكثرته "(الخليل: 239/1-240).

المنارة للاستشارات

ب- الاجتماعي اصطلاحا: كلمة منسوبة إلى الاجتماع، وهي من الكلمات المعاصرة التي يقصد بها عيش الإنسان داخل مجتمع تربطه به جملة من الاتفاقات الأساسيّة في الحياة الاجتماعيّة وبمقتضاها يضع الإنسانُ نفسَه وقواه تحت إرادة المجتمع، وقد عرفه الجرجاني بأنه "تقارب الأجسام بعضها من بعض " (الجرجاني، 1983: 10) فالإنسان مخلوق اجتماعي يميل بطبيعته البشرية إلى العيش وسط الجماعة يأنس بهم، ويحقق مصالحه معهم، ويدرك بعقله مزايا هذه الوحدة والتلاحم، فهو عاجز عن توفير حاجياته اليومية بمفرده من طعام وشراب ولباس وعلاج ومسكن... فهو يتبادل المصالح المادية والمعنوية استجابة للتفاعل الاجتماعي الذي يميز بيئته، وبفضل هذا التفاعل الإيجابي الذي هو وليد الحاجة، نشأت الحضارة الإنسانية وتطورت، وتداخلت فيها القيم الإنسانية النبيلة.

وقد ظهر ما اصطلح عليه بعلم الاجتماع "خلال القرن الثامن عشر وتحول إلى مادة مقررة للدرس في القرن التاسع عشر وهو علم يعتني بدراسة الجماعات لاستكشاف الطريقة التي تعمل بها، وطبيعة العلاقات بين الأفراد ومدى تأثيرها في حياتهم، ودراسة التنظيمات الاجتماعية لمعرفة طرق تطورها وأسباب ضعفها ودورها في التغيير الاجتماعي " (حسن، 2008: 11-13).

فإذا عدنا إلى تاريخ المجتمعات القديمة ودورها الحضاري، سنجد أن المجتمع الإسلامي كان من المؤسسين لعلم الاجتماع الذي شهدته الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة ولا سيما في المراحل الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية، حيث كانت متميزة عن المجتمعات الأخرى في السياق الاجتماعي وأبعاده، "فإن كثيرا من الوصايا الاجتماعية إنما نزلت بمكة أثناء التركيز القوي على بناء العقيدة في نفوس المؤمنين، وعند بناء اللبنات الأولى في صرح الإسلام وتأسيس القواعد الأساسية التي بني عليها باقي التشريع في المدينة. وفي ذلك دليل على أن أسس وأصول التشريع الاجتماعي، ورعاية حقوق الآخرين إنما كانت بمكة مرتبطة تاريخيا بنزول العقيدة... "(حسن، 2008: 15).

المنارة للاستشارات

ww

فالنظام الاجتماعي في الإسلام يتمثل في كل ما شرعه الله تعالى من قوانين تحكم العلاقات الإنسانية، "فالرعاية الاجتماعية في المجتمع المسلم يجب أن تحكمها الشريعة الإسلامية، وبذلك دور الإنسان هو التلقي والفهم والطاعة ومحاولة الوصول إلى أفضل السبل والوسائل والبرامج لتطبيق الشريعة على أكمل وجه ممكن. فالله رحيم بعباده لم يتركهم يضعون الأنظمة الاجتماعية تبعا لأهوائهم المختلفة لأن في ذلك ضلالهم وفسادهم وهو-سبحانه- لا يرضى ذلك لهم، فأنزل على رسله الكتب والهدى الذي ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبدا، فالعلاقات بين الناس في المجتمع، يجب أن تتسم بطاعة الله وتقواه حتى يمكن أن يعيش الأفراد والمجتمع حياة طيبة" (عفاف، 1996: 67).

وخلاصة القول إن الإسلام أولى اهتماما خاصا للبناء الاجتماعي، وجعله أساس استخلاف الإنسان في الأرض وعمارتها مما يحقق كرامته وسعادته في الدنيا والآخرة. فهو نموذج للحياة البشرية المستقرة، يحدد العلائق بين أفراد المجتمع ويطبق فيه القانون على القوي والضعيف، ويشجع على التعاون والتآزر، ويحارب الظلم والفساد وسيتبين ذلك من خلال دراستنا لبعض النماذج المستقاة من الكتاب والسنة فيما سيأتي لاحقا.

الفرع الثاني: العمل الاجتماعي تركيبا

إن مصطلح العمل الاجتماعي من المصطلحات الدخيلة على المعاجم اللغوية العربية بحيث لا نجد له تعريفا محددا في المعجم اللغوي العربي، وتم استيراده من خلال المناهج الاجتماعية الغربية التي اهتمت بالجانب الاجتماعي في دراستها، ومع ذلك استطاع اللغويون استيراد هذا المصطلح وترجمته للوقوف على دلالاته وماهيته، من خلال الوقوف على مجموعة من التعريفات التي لها ارتباط بالفعل الاجتماعي. فإذا حاولنا الوقوف على مجمل هذه التعريفات فإننا سنجد أنهم اتفقوا على مدلول التعاون والتكافل وأن أي عمل يعود نفعه على المجتمع فردا وجماعة هو عمل اجتماعي، فرعاية الفقير ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، وتقديم الرعاية الصحية والنفسية والتربوية للبشرية على اختلاف توجهاتها الدينية واللغوية داخلة في المفهوم الشمولي للعمل الاجتماعي مهما اختلفت الوسائل المسخرة لذلك،

المنارة للاستشارات

أو الجهة الساهرة على هذه الخدمات الاجتماعية سواء حكومية أو غير حكومية، والتي تهدف أساسا إلى تحقيق متطلبات المجتمع الضرورية.

وقد عرف الدكتور علي إبراهيم النملة العمل الاجتماعي فقال: " هو ذلك الأداء المناط بكيانات إدارية، حكومية كانت أم غير حكومية، تعمل على تحقيق الرفاه الاجتماعي (وزارات الشؤون الاجتماعية، والجهات الأخرى الحكومية وغير الحكومية التي تقدم خدمات اجتماعية)، والمقصود بالرفاه الاجتماعي تحقيق متطلبات المجتمع الأساسية (النملة، 1434: 17)، فهو "نسق منظم من الخدمات والمؤسسات الاجتماعية يرمي إلى مساعدة الأفراد والجماعات للوصول إلى مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، كما يهدف إلى قيام علاقات اجتماعية سوية بين الأفراد بتنمية قدراتهم وتحسين الحياة الإنسانية بما يتفق وحاجات المجتمع " (إنج فريجر، 1987: 249).

المطلب الثاني: مشروعية العمل الاجتماعي

الفرع الأول: مشروعية العمل الاجتماعي من القرآن الكريم

الإنسان اجتماعي بطبعه، يسعى للاجتماع مع أخيه الإنسان والتّعاون معه لاستثمار خيرات الأرض وتطويعها خدمة لمصالحه ومصالح جماعته، كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾(الأنعام: 165)، فكلّ إنسانٍ خلقه الله تعالى وله من الميّزات ما ليس للآخر، لذلك كان التفاضل بين الناس في المال والعلم والغنى كما قال تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا**﴾(الزخرف: 32) أي لما قسم الله تعالى بين النّاس معيشتهم، فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء وفقراء "فسخر بعضهم لبعض في أشغالهم على حساب دواعي حاجة الحياة، ورفع بذلك بعضهم فوق بعض، وجعل بعضهم محتاجاً إلى بعض ومُسخّراً به. فإذا كانوا بهذه المثابة في تدبير المعيشة الدّنيا، فكذلك الحال في إقامة بعضهم دون بعض للتبليغ فإن ذلك أعظم شؤون البشر" (ابن عاشور، 1997: 245/25)، إذ لم يكونوا في درجة واحدة من تلك الهبات، وبذلك تنوعت أعمالهم ومكاسبهم، واحتاج بعضهم إلى ما عند

المنارة للاستشارات

البعض الآخر، وأصبح كل فريق منهم متوقفا على خبرة الآخر ومعونته، مسخرا لخدمته، وذلك لخير المجتمع كله، وخدمة الصالح العام، وهذه هي الحكمة الإلهية من وراء التفاوت الذي جعله الله بين خلقه (الناصري، 1985: 475/5)، وهذا ما يعرف بحسن عمارة الأرض وحسن الاستخلاف اللذين لا يتِمَان إلا بالعمل والجد المتبادل المتكامل.

لهذا نجد القرآن يمجد العمل ويرفع قيمته، فقد ذُكر العمل في ثلاثمائة وتسع وخمسين آية (عبد الباقي، 1364: 483) مقترنا بالإيمان وأكدت هذه الأخيرة أن الإيمان الصادق لابد وأن يُترجم إلى عمل صالح، كما عملت على الترغيب فيه والترهيب من استنكافه من أجل صلاح المجتمع الإسلامي وتقدمه(حميد ناصر، 1998: 14)، كما عملت آيات قرآنية عديدة على الترغيب في الإنفاق، وفي الانخراط في الأعمال الاجتماعية...وعملت على غرسه في قلوب الناس من خلال خلق يعتبر من أعظم الأخلاق الاجتماعية، ألا وهو خلق الرحمة التي على أساسه بنيت دعائم الرسالة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقد مثّل لنا القرآن الكريم هذا الخلق العظيم في مواقف عديدة منها:

- قصة نبي الله موسى ﵇، الذي سخر جهده البدني، فقدم عملا جليلا للمرأتين اللتين كانتا تنتظران حتى تسقيا الغنم، فسقى لهما دون أن تسألاه ذلك، فقال الحق تعالى وهو يصور هذا المشهد الرائع الجميل: ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(القصص: 22-24). قال الإمام القرطبي (ت671هـ) في معنى تذودان: " تمنعان غنمهما عن الماء لئلا تختلط بغنم الناس خوفا من السقاة الأقوياء"" (القرطبي، 2007: 257/16)، والشاهد في الآية أنهما "كانتا ضعيفتين وفي حاجة إلى من يتكفل بأمرهما ويسقي لهما، فكان نبي الله موسى عليه السلام صاحب النجدة والمروءة والخلق العظيم فسقى لهما (أبي حيان، 2010: 108/7) وفي هذا بذل الجهد لإغاثة الملهوفين ونصرة المستضعفين.

- ومن الأمثلة التطبيقية للعمل الاجتماعي في تاريخ الأنبياء والمرسلين ما جاء في كتاب الله عن مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾(آل

المنارة للاستشارات

ww

عمران: 44)، فقد كانت مريم يتيمة وكانت في حاجة إلى من يكفلها ويقوم بشؤونها، وهذا ترغيب واضح للتسابق إلى كفالة اليتيم.

وما سيقت هذه الشواهد المشرقة من العمل الاجتماعي في القرآن، إلا لتحثّ المسلمين على الالتزام والتحلي بهذه الأخلاق التكافلية الرحيمة، وهذا نوع من أنواع الترغيب في الإنفاق في سبيل الله، باعتبار الإنفاق وسيلة أساسية للعمل الاجتماعي المحقق للتضامن والتعاون والتكافل بين أفراد المجتمع الإنساني عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة.

الفرع الثاني: مشروعية العمل الاجتماعي من السنة النبوية

لقد كان رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في مجالات البر كلها، حيث كان يقوم بنفسه بإغاثة الملهوف ونجدة المكروب، وكان يسهر ﷺ على حفظ حياة المسلمين، فقد شارك ﷺ في حفر الخندق بيده الشريفة مع المهاجرين والأنصار تأكيدا وتعزيزا لمنزلة العمل الجماعي، كما جاء في حديث البراء: «رأيتُ رسول الله ﷺ يوم حفر الخندق، وهو يَنقل مع الناس التُّراب، وهو يتمثل كلمة ابن رواحة: اللهم لولا أنت ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا» (البخاري: 6809)، وقد كانت لمشاركة الرسول ﷺ الفعلية في مراحل العمل المختلفة أثر كبير في الروح الإيمانية العالية التي سيطرت على المسلمين في موقع العمل مما مكنهم من إنجاز العمل في أقصر مدة وأقل جهد.

أكّد النبي ﷺ على قوة الترابط بين المؤمنين حيث شبههم في حديث بالبناء المتماسك، فعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشَبَّكَ بين أصابعه (البخاري: 2446). قال العلامة ابن حجر في شرح الحديث "ثم شبك بين أصابعه": "هو بيان لوجه التشبيه أيضا، أي يشد بعضهم بعضا مثل هذا الشد"(ابن حجر: 1379، 376/10)، ونفهم نحن أن البنيان كما يشد بعضه بعضا، قد يهدم بعضه بعضا، فإنه إن ضعف بعض البنيان يؤثر ويضعف بقيته، ولا يبقى للجانب القوي نفْع إن تهدم الجانب الضعيف، وكذلك المسلم مع أخيه إن ترك أخاه يضعف ويسقط، لا تبقى له قيمة في الحياة.

المنارة للاستشارات

ويؤكد هذا المعنى ما رواه عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حاجَةِ أخيهِ كان اللهُ في حاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبَة فَرَّجَ اللهُ عنه بِهَا كُرْبَة من كُرَبِ يومِ القيامةِ، وَمَن سَتَرَ مُسلِماً سَتَرَهُ اللهُ يوم القيامةِ»(البخاري: 2310). قال النووي (ت676هـ) في شرح الحديث: "في هذا فضل إغاثة المسلم وتفريج الكرب عنه، وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته" (النووي، 1981: 135/16).

ومن أدلة مشروعية العمل الاجتماعي في السنة النبوية أيضا، ما نجد من حث النبي ﷺ على التكافل والتعاون الاجتماعي، ومدحه من قام بذلك في كثير من الأحاديث، منها رواية النعمان بن بشير عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(مسلم: 4813) وهذا ما تجسّد فعلا عند الأشعريين كما جاء في حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : «إِن الْأَشْعَرِيين إِذا أرملوا فِي الْغَزْو، أَو قل طَعَام عِيَالهمْ بِالْمَدِينَة، جمعُوا مَا كَانَ عِنْدهم فِي ثوبٍ واحدٍ ثمَّ اقتسموه بَينهم فِي إِنَاء واحدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فهم مني، وَأَنا مِنْهُم»(البخاري: 2381). قال ابن حجر العسقلاني: "أَيْ هُمْ مُتَّصِلُونَ بِي" (ابن حجر، 1379: 130/2)، وهذا منتهى الشرف للمسلم الذي يقوم بعمل الخير، ويواسي ويعين الملهوف وذا الحاجة، أن يكون متصلا بالنبي ﷺ قريبا منه متحليا بأخلاقه ومهتديا بهديه.

الفرع الثالث: مشروعية العمل الاجتماعي من الإجماع

لقد أجمع المسلمون في كل مكان وزمان على ضرورة التكافل والتضامن، ولزوم القيام بالعمل الاجتماعي المعبر عن دين الأمة ومكانتها الحضارية، الذي يهدف إلى تحقيق الاجتماع والألفة بين الناس، ويجنبهم التفرق والاختلاف، وقد جاء الحث عليه في العديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي النبي ﷺ، وذلك لما ينجم عنه من فوائد اجتماعية عديدة، منها حماية الضعيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، والتضامن الشامل في حالتي الرخاء

المنارة للاستشارات

والشدة... ودليل هذه الثقافة المبنية على التآزر والتعاون في تاريخ الأمة الإسلامية، تتجسد في النماذج العملية التطبيقية التي زخرت بها كتب السيرة وكتب التاريخ وكل ما كُتب في مجال العمل الاجتماعي عبر تاريخ هذه الأمة الطويل. " فعلى هذه الأسس قامت حضارتنا، وبها رأت الدنيا لأول مرة ديناً ينشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان، ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية."(السباعي، 1999: 133) لأن العمل الجماعي بلا شكّ أكثر إنتاجاً وأكثر تحقيقاً للفوائد من العمل الفرديّ، فعقلَ وجهد الجماعة يَغلب عقل الفرد وجهده خُصوصاً إذا كانَ العمل بروحِ الفريقِ الواحد مع استحضار المراقبة الذاتية. كما قال محمد التويجري:" فكل مسلم مسؤول سوف يحاسبه الله على العمل الانفرادي، وعلى العمل الاجتماعي، وهو العبادة وسوف يسأل الله كلاً من الداعي والمدعو يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: 5)"(التويجري، 2009: 390) ولزيادة كفاءة العمل الجماعي لا بدّ من الانضباط والتنظيم، والحرص على الالتزام بأخلاق العمل.

المطلب الثالث: أقسام العمل الاجتماعي

تجتمع تحت مفهوم العمل الاجتماعي مفاهيم ومصطلحات عدة متداولة في كتب الفقه والأحكام والنوازل الفقهية منها: الإحسان والبر، التبرع والعطاء والتطوع والإرفاق وفعل الخير...وقريب من هذا التعريف ورد في كتاب العمل التطوعي في ميزان الإسلام "العمل هو الجهد المالي أو الجسدي أو الفكري الذي يبذله الشخص من أجل مجتمعه بكامل إرادته لتحقيق الأهداف الإنسانية، دون انتظار أي جزاء مادي أو معنوي مقابل جهوده" (الجمل، 2009: 17) وإن المتأمل في الواقع الاجتماعي للمسلمين سيجد أن نظام التكافل أخذ أبعادا كثيرة ولم يقتصر فقط على الجوانب المادية المحضة، فقد تعددت ميادينه بحسب احتياجات الخلائق، فقد وسع الكتاب والسنة معانيه إلى كل ما فيه سعي إلى الخير والبر والتي يمكن أن نجملها في المعاني الآتية:

المنارة للاستشارات

الفرع الأول: التكافل الاجتماعي

إن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس قاصرا على تحقيق الأمور الضرورية بالنسبة للفرد والمجتمع، و ليس مرتكزا على جوانب معينة من البر والصدقة لفئات هشة من المجتمع، بل مفهوم التكافل له معنى أشمل من هذا كله "فهو يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره وتكوين شخصيته، وسلوكه الاجتماعي ويشمل ارتباط الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ويشمل تنظيم العلاقات الاجتماعية كربط الفرد بالدولة، وربط الدولة بالجماعة، وربط الأسرة بذوي القرابات، وربط الناس بعضهم ببعض. ويشمل أيضا تنظيم المعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية والضوابط الخلقية "(علوان، 2007: 17-18). إن نظام التكافل في الإسلام غايته إصلاح أحوال الناس وتوفير أسباب العيش الأفضل وتحقيق الاستقرار، واندماج الناس في مجتمعاتهم مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ومن هنا يمكن أن نستخلص مفاهيم عدة للتكافل الاجتماعي، ومن هذه المفاهيم ذات البعد الاجتماعي الخيري:

أولا: التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي: هو أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا في ما بينهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية، كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده "(علوان، 2007: 17 -18).

وقد عرف سيد قطب التكافل بأنه "ممارسة الحرية الفردية في أجمل صورها والمساواة الإنسانية في أدق معانيها، لكن دون فوضى، فللمجتمع حسابه وللإنسانية اعتبارها، وللأهداف العليا للدين قيمتها، لذلك يقرر الإسلام مبدأ التبعية الفردية في مقابل الحرية الفردية إلى جانبها التبعية الجماعية، التي تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها وهذا ما ندعوه بالتكافل الاجتماعي"(قطب، 1993: 54).

المنارة للاستشارات

وقد وافق عبد العزيز الخياط السيد قطب في نظرته للتكافل الاجتماعي "كنظام كامل، لأنه لا يعني مجرد المساعدات المالية-أيا كانت صورها- كما تعني كلمة الضمان الاجتماعي، أو التأمين الاجتماعي، ولكن المساعدات المالية نوع واحد من المساعدات التي يعنيها التكافل في الإسلام، فهو يعتني بتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، وعني بتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها، وعني بالعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة، كما عني بالمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي"(الخياط، 1982: 89).

وقد عرفه الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: هو أن يكون "آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمد الخير، ويدفع الأضرار عن البناء الاجتماعي" (أبو زهرة، 1993: 14) وأن يتكفل المجتمع بشؤون كل فرد من أفراده من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية...

إن التكافل بمعناه الشامل ليس محصورا في تحقيق المطالب المعيشية فقط للفئات المحرومة إنما هو "التضامن المتبادل بين أفراد المجتمع، وإيمان الأفراد بمسؤولية بعضهم عن بعض ماديا ومعنويا، واعتقادهم أن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه، فإذا أساء كانت إساءته عليه وعلى أخيه، وإذا ما أحسن كان إحسانه لنفسه ولأخيه"(شلتوت، 1962: 1) فهو يشمل جميع مناحي الحياة.

ويختلف مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام عن مفهومه في النظم الأخرى، "فحينما يتحدث علماء الاجتماع عن مفهوم التكافل يقصدون به التكافل المادي الذي يربط بين أفراد المجتمع، وهذا ليس مفهوما خاطئا ولكنه لا يعبر عن مفهوم التكافل تعبيرا كاملا، وحينما يتكلم الإسلام عن مفهوم التكافل الاجتماعي يقصد به التكافل في جميع مجالاته المادية والمعنوية"(النبهان، 1985: 324). فهو في نظر الشريعة نظام متكامل يربط بين الحاجات المادية والرغبات النفسية للإنسان، ويقوم أيضا بتربية وتهذيب الفرد في علاقته بمجتمعه. و" يتضامن أبناء المجتمع، ويتساندوا في ما بينهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات،

المنارة للاستشارات
www

حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف ايجابية كرعاية الأيتام ونشر العلم... بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد" (عوض، 2008: 17-18).

وختاما يمكن القول إن التكافل الاجتماعي من أعظم مقومات الحياة الاجتماعية الكريمة التي تضمن للمجتمع تماسكه ووحدته وعزه وازدهاره، حيث يشعر أفراده بروح المسؤولية اتجاه أنفسهم وإخوانهم وأوطانهم فلا يحرم فقير، ولا يبخس غني ولا تنتهك فيه حرمات، ولا تسفك فيه دماء، ولا تبذر فيه أموال، ليعيش الناس "بعضهم مع بعض في حالة تعاضد وترابط بين الفرد والجماعة وبين كل إنسان مع أخيه الإنسان، بحيث يرق غنيهم بفقيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم، ويحترم صغيرهم كبيرهم، ويعول صحيحهم مريضهم، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم، وأن يهدي الرشيد الضال ويوقر الجاهل العالم، ويعلم العالم الجاهل، وأن تنظم أمور حياتهم وأموالهم فتوجه إلى ما فيه خيرهم حيث يشعرون بحاجة بعضهم إلى بعض في كل شؤون الحياة، ويرون أنهم في مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة، ولن يتم إكمالها وإحكام أمرها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته. ومثلهم في ذلك مثل الجيش لا تتم له قوته كاملة إلا إذا كان كل فرد فيه قويا في جسمه ومعنوياته " (عبد العال، 1997: 13).

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله أن التكافل يأخذ معنى عاما أوسع وأشمل مما أشارت إليه بعض التعريفات التي اقتصرت على جانب البذل والعطاء فحسب بل هو "نظام كامل بكل ما تحمله الكلمة من معنى هذا النظام قد تدخل في عناصره مدلولات الإحسان والصدقة والبر وما إليها... ولكن هذه بذاتها لا تدخل على حقيقته لأن حقيقته أوسع منها جميعا"(عوض، 2008: 17).

وخلاصة القول فإن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس مجرد وعض وإرشاد، وإنما هو بناء تشريعي متكامل، ونظام اجتماعي شامل هدفه الأسمى هو ضمان العيش الكريم لكل فرد في المجتمع بضمان حقه في المأكل والملبس والمشرب والمسكن وحقه في العمل كلما طلبه.

المنارة للاستشارات

وحقه في حماية دمه وماله وعرضه، بل إن هناك من الصور الجميلة المشرقة في هذا التكافل الاجتماعي الإسلامي ما يجعله في مستوى -حضاريا- فريد. فهو لا يكتفي بضمان الحاجات المادية للإنسان فقط، بل يسمو فوق ذلك، يطمح إلى خلق التكافل في التعلم، ومحو الجهل ومحاربة الأمية... " (المدغري، 1999: 22).

ثانيا: التكافل الأخلاقي

وهو أن يتكافل أفراد المجتمع في صيانة الأخلاق العامة، وذلك بغرس القيم الفاضلة، والأخذ على أيدي المخربين والمفسدين، لأن الحفاظ على مكارم الأخلاق يؤدي إلى الاستقرار والسلم الاجتماعي، أما إذا فقد هذا النوع من التكافل وأهمل فمصير المجتمع الانكسار والسقوط والدمار، لذلك "اعتبر الإسلام المجتمع مسؤولا عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها، ولا يعتبر الإسلام تدخلا منه في الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يأتي على بنيان الأمة."(السباعي، 2010: 191) ولهذا جعل الشارع حماية الجانب الأخلاقي مسؤولية ملقاة على عاتق الجميع، وليست منوطة بفئة معينة، لأن صلاحها صلاح المجتمع وفسادها فساد للمجتمع، ولهذه الغاية أرسل الله عز وجل رسوله مصلحا لأحوال الناس، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ»(أحمد: 8729). فعلى المجتمع الناضج أن يقوم برقابة "نفسية أساسها الضمير والخلق الفاضل، وقوامها التمسك بمبادئ الدين وتعاليمه، ومراقبة الله تعالى والشعور بالمسؤولية عن مستقبل الأمة ووجود رأي عام فاضل يساعد على الخير ويدفع الشر، فإن المجتمع في مظهره يكون بنية صالحة، تختفي فيها الرذيلة وتترعرع في أغصانها الفضيلة، لأن الرأي العام رقابة نفسية للمجتمع تدفع الصالح إلى إعلان الخير وفعله، وتدعو الفاسد إلى الانزواء والاختفاء، وحين يكون الرأي العام فاضلا ناضجا، يطهر المجتمع ويتهذب أفراده، وحين يفسد الرأي العام يسقط المجتمع ويتحلل أفراده وتختفي الفضيلة وترفع الرذيلة رأسها"(" (عبد العال، 1997: 18).

المنارة للاستشارات

www

ثالثا: التكافل الجنائي

يقوم على "بناء المجتمع الفاضل الذي تسوده المحبة والإخاء، وتتعاون فيه كل القوى بحيث لا يطغى فريق على فريق، ويكون صالحا نظيفا، فلا تظهر فيه الرذائل وتستتر فيه الجرائم، بل تنمحي منه أصلا، وتبدل فيه النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، ويتم الائتلاف بين الحقوق والواجبات وبين مصالح الناس بعضهم مع بعض فلا تتضارب الحقوق ولا تتجاوز الحدود ولا يعتدي أحد على أحد في نفس أو عرض أو مال، بل يضع المجتمع أساليبه ونظم حياته "(عبد العال، 1997: 11)، ويكون أكبر رادع في تطبيق القانون ويحقق الأمن الاجتماعي الذي "ينفي الخوف والفزع عن الإنسان فردا أو جماعة، في سائر ميادين العمران الدنيوي بل وأيضا في المعاد الأخروي فيما وراء هذه الدنيا، لهذه الحكمة كان الأمن في الإسلام اجتماعيا واستحال أن تقف آفاقه عند حدود الفرد، دون الاجتماع الشامل للأفراد ضمن الجماعة... ذلك أن الإنسان كفرد مدني واجتماعي بطبعه وبحكم حاجاته فأمنه الحقيقي لا يستقيم ولا يتحقق إلا إذا عمت آفاقه الاجتماع والجماعة والعمران"(عمارة، 1998: 12-13).

فالغرض من التكافل الاجتماعي حفظ المجتمع من الجرائم الاجتماعية الخطيرة لإيجاد التوازن في المجتمع، وترسيخ دعائم التضامن والتكافل، وإزالة الفوارق بين أبناء الوطن الواحد، والقضاء على كل أسباب الحقد والكراهية التي تكون عادة بين الفقراء والأغنياء.

وكان الهدف الأسمى من هذا النوع من التكافل حماية مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية ألا وهو النفس، وذلك بتطبيق الحدود الشرعية لضمان حياة الإنسان واستمراريته فقد حرمَت الشريعة الإسلامية الاعتداء على الأنفس بغير حق واعتبرت هذا الفعل من أكبر الكبائر على ظهر الأرض، بعد الكفر بالله، وجاء ذلك التحريم في آيات كثيرة وأحاديث عديدة ومتنوعة نذكر منها:

قوله تعالى:﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ

المنارة للاستشارات
ww

بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة: 47). وقوله أيضا: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ (البقرة: 178).

فقد وضعت الشريعة الإسلامية نصوصا تبين حد القاتل وما يترتب عنه من دية، "فإذا جنى جان على إنسان ولم يعرف قاتله، ألزم الشارع أن ينظر إلى المكان الذي وجد فيه القتيل فيختار أولياء الدم خمسين رجلا من ذلك المكان، يقسمون أنهم لا يعرفون القاتل ولا يؤوونه عندهم، فإذا أقسموا حكم الشارع بدية القتيل تعطى لأوليائه، فإن عجز المحكوم عليهم بالدية عن دفعها دفعها بيت المال"(السباعي، 2010: 190-191)، وكذلك الحكم على كل من قتل نفسا سواء عمدا أو خطأ وتعذر عليه دفع الدية فينوب عنه بيت المال في إعطائها لذويه.

رابعا: التكافل المعيشي

التكافل المعيشي يتعلق بكفالة المجتمع لمعيشة فئة هشة، معيشة كريمة تليق بكرامة الإنسان، والعمل على توفير حاجات المحرومين ومساعدتهم بكل ما يحتاجونه من "طعام وغذاء وكساء ومسكن وأموال وعقارات إلى غير ذلك مما لا يستغني عنه إنسان في حياته ومعيشته، فلا يصح في شريعة الإسلام، ولا يجوز في عرف الشهامة و المروءة أن يرى المسلم قريبه أو جاره، أو من يعلم بجوعه وحاجته يتلوى في الجوع و الحرمان ولا يقدم له معونة من مال، أو مساعدة من طعام أو كساء"(عوض، 2008: 27).

"فالإسلام يفرض على الجماعة المسلمة أن يكفل بعضها بعضا بحيث تكون مسؤولية تضامنية في المجتمع المسلم، حتى يكتفي أهلها ولا يجوز أن يكون هناك فضول أموال ولا توفر طعاما لكل جائع، وكسوة لكل عار، ومأوى لكل مشرد، ودواء لكل محتاج، وتعليم لكل جاهل"(القرضاوي، 2009: 19).

وقد ألزمت الشريعة الإسلامية إنفاق الناس على ذوي الحاجات من الفقراء، قال ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ): "وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف، وبمسكن يسكنهم

المنارة للاستشارات

من المطر والصيف والشمس وعيون المارة "(ابن حزم، 2003: 156/6).

وقد عزز الإسلام التكافل المعيشي بوسائل عديدة تعمل على تحقيقه في المجتمع الإسلامي، كي لا يكون المسلم عالة على غيره، ومن أهم هذه الوسائل: فريضة الزكاة، والوقف، والهبة، والوصية، والمنيحة... فجعل الله عز وجل بعضها إلزاميا والبعض الآخر قربة يتقرب العبد بها إلى ربه لينال الدرجات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم ﴾ (التوبة: 60).

خامسا: التكافل العبادي

لقد خلق الله تعالى الإنسان، وجعل من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على دينه الذي هو أساس وجود هذا المخلوق، وبه تستقيم حياته الدنيوية والأخروية، وشرع له مجموعة من العبادات، "لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه، وإذا كانت العبادات لا تحقق تلك الأهداف التهذيبية فهي ليست عبادة خالصة يقبلها الله تعالى، فالحج تعارف اجتماعي عام يجعل المؤمنين يتعارفون ويتكافلون حيث ما كانت أماكنهم، ومهما تتباعد أقطارهم، فهو ليس توجيها للتكافل الاجتماعي في داخل الإقليم الواحد فقط، ولكنه توجيه لهذا التكافل في عموم الأقطار الإسلامية..."(أبو زهرة، 1993: 13-14)، ثم هكذا نجد كل العبادات الإسلامية تتجه إلى تهذيب ضمير المؤمن ليكون متكافلا مع مجتمعه لتحقيق غايته الفضلى.

وليس كما يظن كثير من الناس أن هذه العبادة التي أوجبها الشرع الحنيف، "قاصرة على الصلوات والأذكار التي يقف فيها المسلم موقف الخضوع والخشوع والمناجات لله تعالى، ولكن المتأمل لحقيقة العبادة يجد لها مفهوما آخر غير ما يفهمه بعض الناس، وهذا المفهوم يدخل فيه كل عمل صالح يفعله الإنسان خالصا لوجه الله الكريم، وكل خير يفيد الفرد والمجتمع يعمله المرء امتثالا لأمر ربه، وابتغاء مرضاته "(علوان، 2007: 35-36)، فالمسلم دائما يسخر كل أعماله في سبيل خدمة نفسه وأسرته ومجتمعه لينال أجر ربه. ويحرص كل

المنارة للاستشارات

الحرص على أداء الفرائض بكل إتقان ويجتهد في السنن والنوافل لتزكية نفسه وتحصيل الإيمان الذي به يرتقي العبد إلى درجات عليا من الصلاح، فهناك "شعائر وطاعات يجب أن يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها بمجموعه، وتسمى بفروض الكفاية في العبادات، كصلاة الجنازة، فإن الميت إذا مات وجب على المجتمع تكفينه والصلاة عليه ودفنه، فإن لم يقم بذلك أحد أثم المجتمع كله، ومثل ذلك الآذان لأداء الصلاة، وإقامة صلاة الجماعة"(السباعي، 2010: 193)، فتكافل المجتمع وحرصه في إقامة هذه الشعائر الدينية على اختلاف وجوبها، تحقق سعادة روحية بين أفراده، وتضامنا بين مكوناته.

سادسا: التكافل الحضاري (الأدبي والعلمي)

ومعناه أن "يتكافل الناس فيما بينهم على اختلاف معتقداتهم الدينية حول قضايا كبرى تخدم الإنسانية، وتساهم في تطور الحياة الاجتماعية نحو الأفضل. وتحقق السعادة للإنسان في جميع المجالات (السياسية- الاقتصادية- العلمية- الأدبية) "(الموسوي، 1992: 73)، فتتشارك الأمم والشعوب قضايا وهموم ومشاكل بعضها البعض، حيث تحاول تشخيص أسبابها وتداعياتها وانعكاساتها على المجتمع من الناحية الفكرية ووضع آليات للقضاء عليها والحد من خطورتها. فيحس الفرد داخل المجتمع بمسؤوليته العظمى، ويشعر باحترام الآخرين وحبه لهم، والتعاون معهم في جميع المجالات، فيفرح لفرحهم، ويأسى لمصابهم ويتمنى لهم الخير ويكره الشر أن ينزل بهم، فلقد حث الإسلام على مشاركة الناس في أحاسيسهم وشعورهم سواء كان ذلك في الأفراح أو الأحزان... ففي الأفراح دعا الإسلام إلى مشاركة المسلمين في أفراحهم، كما في النكاح مثلا أوجب إجابة دعوة الوليمة وبين أن عدم تلبية الدعوة فيها عصيان لله ورسوله. وفي الأحزان حث الإسلام على مشاركة المسلمين في أحزانهم وآلامهم."(عبد الفتاح، 1979: 357)، وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك بتعبير دقيق فقال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»(البخاري: 5688).

فإن المجتمع الإسلامي "يبني أفكاره ونظامه فيه على أساس الإسلام، وفي ظل المجتمع

المنارة للاستشارات

الإسلامي يعيش الفرد المسلم الحياة الإسلامية، ويكتسب منها العادات والأفكار والتقاليد والآداب العامة، وتتكون شخصيته ذلك لأن المحيط الاجتماعي يؤثر في أفكار الفرد وشخصيته وسلوكه وثقافته وإحساسه ومشاعره، ومسؤولية الإنسان المسلم، هي الحفاظ على بنية المجتمع الإسلامي ونظام الحياة فيه، لتستمر الحياة والحضارة الإسلامية "(الموسوي، 1992: 74)، التي تستمد روحها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الداعية إلى العلم والمعرفة والاجتهاد في اكتساب العلوم الدنيوية كذلك، وقد " أوجب الشرع على العالم أن يعلم الجاهل وعلى الجاهل أن يتعلم من العالم وأن لا يضن العالم بعلمه على الناس، وأن لا يكتم ما أدركه من أسرار الشريعة أو الكون لكي ينفرد بالرئاسة أو التميز العلمي"(السباعي، 2010: 188)، ولقد أثنى الله عز وجل على العلماء الربانيين العاملين وجعل مكانتهم عظيمة حيث قال: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر: 10) لأن"للعلماء والكتاب والأدباء والشعراء والفنانين والمفكرين الأثر الأكبر في المجتمع الإسلامي وحمايته من الأفكار والنظريات الغريبة على الفكر الإسلامي أو المعادية له، ذلك لأن الفكر والثقافة والأدب هي من الأدوات الأساس التي تبني شخصية الفرد والمجتمع، فعندما يصلح الفكر والثقافة يصلح المجتمع الإنساني وعندما تفسد تلك الأدوات يفسد المجتمع، ويقوم علماء الإسلام وخصوصا الفقهاء بدور بارز في حماية العقيدة الإسلامية من التحريف والعبث وكشف النظريات التي تحاول أن تغزو عقول المسلمين، أو تحاول التأثير على ثقافتهم"(الموسوي، 1992: 76).

سابعا: التكافل الاقتصادي

لقد أولى الإسلام عناية خاصة بالجانب الاقتصادي للمجتمع الإسلامي، لكي ينعم فيه جميع المواطنين بخيرات البلاد، ولا تظهر الهوة بين الفقير والغني، حيث شجع على التجارة والسعي بحثا عن الرزق، ونهى عن الاحتكار والغش والتلاعب بالأسعار في المعاملات المادية، وعمل على حفظ ثروات الدولة من الضياع والتبذير، ولتحقيق ذلك سن مجموعة من القوانين تلزم الفرد والدولة الالتزام بها لتحقيق رخاء اقتصادي يكون فيه أبناء الوطن

المنارة للاستشارات
www

الواحد سواسية في الاستفادة من خيراته حيث أوجب على الدولة أن "تهيئ للإنسان فرصة العمل، والتدرب عليه، فإذا كان العمل يحتاج إلى تعليم تعلمه، ثم تهيئ لكل شخص من العمل ما يناسبه، وأن تعينهم على تسيير فرص العمل، فالوسيلة الأنجع للتكافل ألا وهي توفير العمل للناس"(القرضاوي، 2009: 24) أما كفالة غير القادر على العمل، كالضرير والمقعد والمرأة العجوز والشيخ الكبير واليتيم... تجب على المجتمع والدولة.

إن التكافل الاقتصادي هو أحد الدعائم القوية المساهمة في بناء العدالة الاجتماعية وهو يمثل جانبا مهما من الاشتراكية الإسلامية، "فقد استطاع أن يوجه السياسة المالية في الإسلام توجيها بلغ فيه مبلغا لم يبلغه أحد، بالنور الذي غرسه في القلوب وبالبصيرة الخيرة التي يتناول بها الأمور، على أساس من التراحم والتآلف الأخوي والإيثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد، ولا إذلال ولا إنكار لذاتيته" (عبد العال، 1997: 24)، فهو منظومة متكاملة قائمة على اعتبارات إنسانية وأخلاقية واجتماعية، غايتها إصلاح أحوال الناس ورعاية حقوقهم، مع تحقيق استقرارهم وسعادتهم.

الفرع الثاني: العمل الخيري

المراد بالعمل الخيري النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان إلى غيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، ليحقق هدفا خاصا له أكبر من المقابل المادي، وقد يكون عند بعض الناس الحصول على الثناء والشهرة أو نحو ذلك من أعراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلق بالآخرة، رجاء الثواب من الله والدخول في جنات النعيم، فضلا عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها" (القرضاوي، 2008: 21)، فمفهوم الخير يلزم الأفراد القيام بمسؤولياتهم تجاه من هم في حاجة إلى الدعم والمساعدة دون الحصول على مقابل مادي للمتبرع لا عاجلا ولا آجلا، إذ الغاية فقط هي ابتغاء الثواب عند الله عبر الإسهام الفعال في مواجهة المشكلات والأزمات التي يعاني منها المجتمع "(البيومي، 2010: 119)، لأن الإسلام أوصى بالمعسرين حيث قال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 279).

المنارة للاستشارات

وقد عرف العلامة الطاهر بن عاشور (ت 1339هـ) العمل الخيري بأنه "كل ما يبذله المسلم من مال أو جهد على أساس المواساة بين أفراد الأمة الخادمة لمعنى الأخوة، فهذه مصلحة حاجية جليلة، وأثر خلق إسلامي جميل، فبها حصلت مساعدة المعوزين وإغناء المقترين، وإقامة الجم من مصالح المسلمين"(ابن عاشور، 2004: 505/3). فالمجتمع الإسلامي مجتمع إنساني مأمور بتقديم الخير لنفسه ولغيره على أساس من العدل والرحمة والوسطية، وذلك لتحقيق المقصد الأسمى من عمارته للأرض، وخلاصة القول أن العمل الخيري مسؤولية ملقاة على جميع أفراد الأمة تجاه المحتاجين والمعوزين لتحقيق حاجياتهم، فتتقوى روابط الألفة بين أفراد المجتمع.

العمل الخيري إذن هو "كل الأعمال التي يقوم بها الأشخاص لمساعدة المحتاجين إما بتقديم المساعدة المادية المباشرة للمحتاج أو المعوز، وإما بتقديمها بشكل غير مباشر إلى الجمعيات الخيرية، وأغلب الأشخاص الذين يقومون بأعمال الخير إنما يقومون بها بصورة غير علنية"(عوض، 2008: 17-18)، وقد يكون في الغالب بشكل علني من أجل تشجيع الناس على القيام به، ودعمه ماديا ومعنويا.

الفرع الثالث: العمل الإحساني

حض الإسلام على الإحسان وجعله عاما يشمل المؤمن والكافر، ويستوعب المجتمع البشري كافة، دون تمييز لعرق أو دين أو طائفة معينة، فالإنسان في عقيدة الإسلام مكرم من حيث هو إنسان، وقد استهدفت المنظومة التربوية الإسلامية "تهذيب نفس الإنسان بما يجعلها سمحة بالعطاء، سخية بالإحسان، فياضة بالرحمة والشفقة والحنان. وتوسل الإسلام إلى ذلك بوسائل تربوية ناجعة، من شانها معالجة التكافل في عمقه النفسي بما يخلق الاستعداد القلبي، ويشحذ العزائم نحو عمل الخير، ويسمو به إلى قمم العمل الإنساني النقي ويعمق الشعور بالرحمة"(المدغري 1999: 27).

وقد حرص القرآن الكريم في آيات كثيرة على التذكير بالعمل الإحساني وترسيخ خلق الإيثار وتطهير النفس من البخل والشح والرياء، وحثها على البذل والإنفاق، والاقتصاد

المنارة للاستشارات

والتوسط في النفقات، لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا شك أن شيوع "الإحسان والتعاون والإخاء بين أفراد المجتمع سيقضي على عوامل الجفاء والحقد والقطيعة والبغضاء، ويعمر القلوب بالحب والود والشفقة، مما يجعل الحياة طيبة في هذا المجتمع الطيب، لأنها تقوم على الود والرحمة لا على البغض والقسوة"(زيدان 2002: 109)، ذلك أن المجتمع الذي يشيع فيه الإحسان يحس أفراده بالأمن والاطمئنان والاستقرار.

إن المفهوم العام للإحسان يتجسم مضامين عملية في مختلف المجالات، تستهدف في المجال الاقتصادي والاجتماعي تحقيق أهداف الشارع في تنمية الذات، وفي صياغة المجتمع المسلم بصيغة التآخي والتكافل، عن طريق تنفيذ أوامر الله عز وجل ووصاياه، في مستواها الجمالي دون قصر النظر على المعادلات المادية العاجلة"(التجكاني، 1990: 23).

الفرع الرابع: العمل التطوعي

العمل التطوعي هو ذلك المجهود القائم على مهارة أو خبرة معينة، والذي يبذل عن رغبة واختيار بغرض آداء واجب اجتماعي دون توقع جزاء مالي بالضرورة، والفعل التطوعي في إطاره الاجتماعي والثقافي يشكل عاملا رئيسيا للاستثمار الاجتماعي في الطاقات البشرية للمجتمع من جهة، والالتزام بمساعدة الغير داخل النظام الاجتماعي الواحد من جهة أخرى، وهذا من خلال التمثيل الرمزي للفكر والقيم والأهداف الاجتماعية للأفراد حيث يعتبر التعاون ميزة أساسية في إدارة العمل التطوعي وبالتالي فهو يحدد كفاءة وفعالية المتطوع باعتبار أن العمل التطوعي جهاز مساعد لباقي أجهزة المجتمع"(عديلة، 2011: 11). ويشمل هذا المعنى "كل صور الجهد المالي أو الجسدي أو الفكري، الذي يبذله الشخص من أجل مجتمعه بكامل إرادته أي طائعا مختارا، لتحقيق الأهداف الإنسانية، دون انتظار أي مقابل مادي أو معنوي"(الجمل، 2009: 17).

ويتبين من خلال هذا التعريف أن من شروط العمل التطوعي أن يكون بمحض الإرادة لتحقيق مصلحة فئة معينة، وأن لا يكون نفعيا ماديا، وإنما المراد منه خدمة المجتمع وكسب الأجر والثواب من الله تعالى. فصياغة المشاريع الاجتماعية لم تبق حكرا على الدولة،

المنارة للاستشارات

ww

بل أصبحت من أولويات النسيج الجمعوي للتخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية الملقاة على عاتق الدولة الحديثة والمساهمة في أمن واستقرار البلدان.

فالعمل التطوعي يشمل كل تنظيمات المجتمع المدني "من جمعيات ونقابات وأحزاب وأندية وتعاونيات، أي كل ما هو غير حكومي وكل ما هو غير عائلي"(سعد، 1998: 5)، وهو إذن شبكة العلاقات الاجتماعية المساهمة في الاستقرار المجتمعي، التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة في ذلك بمجموعة من القيم الاجتماعية، "كالمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في سياستها المختلفة على تقليص سلطة الدولة لتحقق أغراض متعددة منها أغراض سياسية، كالمشاركة في صنع القرار على المستوى القومي، ومثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنها أغراض نقابية، كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة، ومن أغراض ثقافية وفقا لاتجاهات أعضاء كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي وتحقيق التنمية المستدامة " (واصف، 2007: 15)، ويتم ذلك من خلال هيئات منظمة تتميز بالتنظيم والتخصص، وتنوع أساليب عملها وفقا للأهداف المخطط لها سلفا، وهذا ما يساهم في نجاعتها واستمراريتها.

فالعمل التطوعي يجب أن يكون ملازما للمجتمع في جميع الأوقات، ولا يقتصر فعله عند حلول الأزمات والنكبات، بل هو غاية نبيلة وهدف أصيل حث عليه الشرع الحكيم، مع الإشارة إلى عدم الخروج عن النظام المحدد لهذه الأعمال، وأن تكون في إطارها الصحيح الذي حدده ولي الأمر، حتى لا ينحرف العمل التطوعي عن منهجه، ومن ثم تتجاذبه الأهواء والعواطف والتصرفات الشخصية الغير المسؤولة، وهذا كله ينعكس سلبا على سمعة ديننا ووطننا.

والملاحظ أن العمل التطوعي أصبح في تنامي مستمر، و أخذ أشكالا متعددة بحسب حاجات كل فئة وكل منطقة، مما انعكس إيجابا على الحياة الاجتماعية لشريحة كبرى من المجتمع. حيث أصبحت الدولة تشجع على هذا النوع من العمل نظرا لفاعليته، ولكونه أيضا عملا منظما ومكملا لمهام الدولة الحديثة، كما أنه يخفف من تدخلاتها في النسيج الاجتماعي.

المنارة للاستشارات

وختاما يمكن القول بأن العمل الاجتماعي التطوعي هو كل فعل أو سلوك أو نشاط اجتماعي أو اقتصادي يقوم به الفرد أو الجماعة يكون القصد منه تقديم العون والمساعدة سواء كانت مادية أو معنوية لشريحة اجتماعية في حاجة ملحة إلى الدعم والمساندة، ولا تكون الغاية من وراء هذا العمل تحقيق مصالح شخصية كيفما كان نوعها، وإنما يهدف إلى إصلاح المجتمع وبناء وحدته والسعي إلى ازدهاره وتقدمه، ثم تحصيل الأجر والثواب من الله تعالى.

المطلب الرابع: خصائص العمل الاجتماعي

الفرع الأول: الشمول

العمل الاجتماعي عمل خيري إحساني نفعه عام، موجه إلى كل محتاج سواء كان مسلم أم غير مسلم، قريب أم بعيد، تربطنا به مصلحة أو لا تربطنا به مصلحة، بحيث "يقدم المسلم الخير والعون لكل من هو في حاجة إليه، سواء كان قريبا أم بعيدا صديقا أم عدوا مسلما أم كافرا، إنسانا أم حيوانا، فالمسلم لا يقتصر خيره وبره على أقاربه وذوي رحمه أو أهل بلده، بل يرى الإسلام أن للغرباء والأباعد حقوقا أيضا، بحكم إسلامهم إن كانوا مسلمين وبحكم إنسانيتهم إن لم يكونوا مسلمين"(القرضاوي، 2008: 36)، فلا يقتصر إحسان المسلم على أقاربه وأصحابه ويحرم خصومه وأعداءه ممن هم في حاجة ماسة إلى الرحمة والشفقة والخير، ولا يكف المسلم خيره وبره عمن يخالفه في الدين، بحيث لا يقدم العون إلا لمسلم كأن الكافر لا يستحق الرحمة والشفقة.

الفرع الثاني: الاستمرارية

فمن خصائص العمل الاجتماعي الخيري التطوعي أن لا يكون خلال فترة معينة ويتم انقطاعه بعد ذلك، بل هو عمل مستمر لا يمكن الاستغناء عنه، لتحقيق الرفاه الاجتماعي لفئة عريضة من المجتمع، ويمكن أن نميز في العمل الاجتماعي المستمر بين ثلاثة أصناف رئيسية وهي:

أ- فريضة دورية: تأتي سنويا وفي فترات محددة وفق تعاليم الشرع الحنيف والمسلم

المنارة للاستشارات

مطالب بإخراج حق الله في ماله عند حلول الحول، سواء كان النصاب نقدا مثل عروض التجارة، أو عينا مثل زكاة الزروع، ومنه "فإن فعل الخير عند المسلم إما فريضة دورية يلزمه أداؤها بحكم إيمانه وإسلامه مثل زكاة المال الواجبة في كل حول أو عند كل حصاد، أو كزكاة الفطر الواجبة عند مقدم كل عيد للفطر من رمضان"

ب- **فريضة غير دورية**: وتجب بحسب المسؤوليات الملقاة على الإنسان مثل الحقوق المالية للموصى عليهم شرعا من الأقارب والضعفاء إذا لم يكن لهم من يعيلهم، فالضرورة هنا تستدعي الوجوب في القيام بأمورهم، مثل: نفقة المعسر، لما توجبه صلة الرحم، وحقوق أولي القربى، ومثل إطعام الجار لجاره إذا جاع وهو بجانبه، ومثل قرى الضيف إذا لم يكن له مكان ينزل به، أو لم يكن لديه مال وهو غريب الدار" (القرضاوي، 2008: 41).

ج- **التطوع لوجه الله**: إن فعل الخير مجاله واسع حبذ إليه الشرع الحنيف وجعله من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه في غير وجوب ولا إلزام فينال مرتبة عظيمة في الجنة، قال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ (البقرة: 183).

المطلب الخامس: مسؤولية العمل الاجتماعي ومقاصده

الفرع الأول: مسؤولية العمل الاجتماعي

إن مسؤولية التكافل الاجتماعي ليس كما يعتقد البعض أنها من الواجبات التي تتحملها الدولة بمفردها، بل هي من الأمور التي تشترك فيها جميع مكونات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتهم العرقية والمذهبية، فلقد جعلت الشريعة الإسلامية الاهتمام بالتكافل الاجتماعي مسؤولية يتحملها كل مسلم على حسب استطاعته وتخصصه، ويؤديها بكل أمانة، فالحاكم مسؤول عن رعيته، والأب مسؤول عن رعاية أسرته، والجار مسؤول عن جاره، والقوي مسؤول عن حماية الضعيف، والغني مسؤول عن إطعام الفقير، والعالم مسؤول عن تعليم الجاهل، والطبيب مسؤول عن علاج المرضى... قال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول

المنارة للاستشارات

ww

عن رعيته»(البخاري: 893)، فلا يمكن إغفال دور المجتمع الذي هو بمثابة " العضو في الجسم، وعليه أن يتكافل مع الآخرين ويتعاطف معهم، ويشعر بآلامهم، ويشاركهم مشاعرهم في السراء والضراء، وفي الفقر والغنى، ويهتم بأمورهم، ويسعى لقضاء حوائجهم، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين بأن يشعروا بهذا الشعور ويتعاطفوا ويتكافلوا ويهتم بعضهم بشؤون بعضهم الآخر"(الموسوي، 1992: 86)، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة: 3).

وجدير بالذكر أن هناك مسؤولية اجتماعية عامة يسأل عنها الجميع وهم مكلفون بها تكليفا كفائيا، وهي مسؤولية الدفاع عن مصالح الأمة الإسلامية الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها، ومسؤولية الدفاع عن العقيدة والوطن الإسلامي وسيادة الأمة وتتحمل الدولة الإسلامية بشكل أساسي هذه المسؤولية، وعلى أفراد الأمة أن يؤازروها على القيام بهذا الواجب المقدس، كما عليهم أن يشعروا بمسؤولياتهم الفردية شعورا ذاتيا" (القرضاوي، 2008: 36).

الفرع الثاني: مقاصد العمل الاجتماعي

إن عمل الخير وتثبيته يعد من أهداف الرسالة المحمدية ومن مقاصد الشريعة الإسلامية وإن لم يذكره الأصوليون القدامى صراحة في المقاصد الضرورية، فهو من أسس الشريعة وجوهرها لما فيه من مصالح عظمى للفرد والجماعة، مما يعزز وحدتها وازدهارها، لذلك جاءت النصوص صريحة مرغبة فيه وداعمة له بشتى الوسائل. ولا بد من التوكيد على أن من أهم المقاصد العظمى للعمل الاجتماعي، تهذيب النفس الإنسانية وتعويدها على قيم المحبة والرحمة والتعاون والإحسان بين العباد حتى تسمو بالعطاء وينغرس فيها الإحساس بالمسؤولية الفردية والجماعية، وتتطهر من المن والأذى والرياء والسمعة والشح والطمع وتخلص العمل لوجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام: 164)، بحيث يسخر الإنسان جميع حركاته وسكناته لله تعالى فيكون إنفاقه وبذله نابع من واجب إيماني فيأخذ على ذلك الأجر والثواب، ويعمر الأرض فيكون

المنارة للاستشارات

خليفة فيها يقوم بشؤونها المادية والمعنوية بما يضمن سعادة البشرية دون تمييز للون أو دين أو عرق، ويحافظ على أمانة الاستخلاف التي وعد الله الإنسان بها منذ خلق السماوات والأرض، وتتحقق الخيرية المنشودة التي امتدح الله بها الأمة الإسلامية.

خاتمة

إن اهتمام الإسلام بالعمل الاجتماعي يؤكد أن الإصلاح الاجتماعي منهج حياة، لا يستغني عنه أي مجتمع، والحياة الإسلامية في حاجة ماسة إليه، بوصفه ضرورة مُلحّة لإقامة الحياة السعيدة في كل مجتمع، لهذا، وجب أن تتجه الدراسات نحو إبراز فعالية النظام الاجتماعي الإسلامي لأنه من ركائز النهضة التحضر.

ومن خلال رحلتي مع هذا البحث، أستطيع - بفضل الله تعالى - أن أخرج منه بهذه الخاتمة، التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وأذكرها في الآتي:

- العمل الاجتماعي مصطلح حديث لكن جذوره قديمة في التراث الإسلامي، حيث نجده تارة بمعنى الإحسان، وتارة بمعنى التكافل، وتارة أخرى يستخدم في جميع أعمال البر...

- العمل الاجتماعي أخذ أشكالا متعددة، لضمان الحياة الاجتماعية السعيدة لكل مكونات المجتمع، وليس مقتصرا على الجوانب المادية فقط.

- ضرورة ترسيخ قيم العمل الاجتماعي في عقيدة المسلمين؛ لتحفيز الهمم، وإيقاظ الضمائر، ونشر القيم الاجتماعية، حتى يصبح الفعل الاجتماعي جليا في سلوكياتهم.

- بيان الآثار السلبية لتخلي المسلمين عن أدوارهم الاجتماعية نتيجة عدم الالتزام بتعاليم رسالة الإسلام السمحة.

- تقديم تصورات وآراء عن كيفية توظيف العمل الاجتماعي لخدمة قضايا الإنسان، وعمارة الأرض على الوجه الذي يحفظ للمجتمع كرامته، ويصونه من جميع الآفات، التي تهدد وحدته واستقراره.

- يجب ترشيد آليات العمل الاجتماعي وتنويع تطبيقاتها المتجددة بتجدد الزمان والمكان من خلال تنويع المظاهر العملية في الجانبين: الإلزامي والتطوعي بين جميع الفئات

المنارة للاستشارات
www

الاجتماعية، وتأكيد أهميتها التنموية والحضارية.

- تأطير الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية، وتعزيز أدوارها التنموية في حياتنا الخاصة والعامة، لتشمل كل مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وغير ذلك من أوجه النفع ومجالات الخدمة الاجتماعية.

- إحياء ما اندثر من تطبيقات مؤسسات العمل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية، وذلك بإبرازها في بحوث مستقلة، تمكن الباحثين من الاطلاع على الإنجازات الرائعة لأسلافنا في الخدمات الاجتماعية المتعددة.

قائمة المراجع

1)أبي حيان الأندلسي، (2010)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر.

2)ابن عاشور محمد الطاهر ،(1997)، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.

3) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط، بيروت مؤسسة الرسالة.

4)ابن حزم الأندلسي، (2003)، المحلى، تحقيق سليمان البنداري، ط.3، بيروت، دار الكتب العلمية.

5)ابن عاشور محمد الطاهر ، (2004)، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية.

6)أبو البقاء أيوب الكفوي، (2011)، الكليات، تحقيق محمد المصري وعدنان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة.

7)إنج فريجر، (1987)، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، ترجمة أحمد زكي بدوي، ط1. القاهرة، دار الكتاب المصري.

8)ابن فارس أحمد،(1991)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار الجيل.

9)ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (1379)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت،

المنارة للاستشارات

دار المعرفة.

10)أبو زهرة محمد، (1993)، التكافل الاجتماعي، ط.2، القاهرة، دار الفكر العربي.

11)أحمد مختار عبد الحميد، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب.

12)البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود ، (1997) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط.4، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

13) البيومي إبراهيم غانم، (2010)، مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية، ط1، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

14)التويجري محمد، (2009)، موسوعة الفقه الإسلامي، ط.1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

15)الجرجاني الشريف، (1983)، كتاب التعريفات، المحقق مهدي ضبطه وصححه مجموعة من العلماء، ط.1 بيروت، دار الكتب العلمية.

16)الجمل أحمد محمد عبد العظيم، (2009)، العمل التطوعي في ميزان الإسلام، ط1، القاهرة، دار السلام.

17)حميد ناصر الزري، (1998)، مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية، ط.1، الشارقة، منشورات دائرة الثقافة والإعلام.

18)حسن أيوب، (2008)، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ط.4، القاهرة، دار السلام للطباعة،

18) الخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري، كتاب العين، المحقق مهدي مخزومي، إبراهيم السامورائي، بيروت، دار مكتبة الهلال.

19)السباعي مصطفى، (2010)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط.1، بيروت-لبنان، دار ابن حزم.

20)السباعي مصطفى، (1999)، مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، ط.1، بيروت، دار الوراق للنشر والتوزيع.

21)سعد الدين إبراهيم، (1998)، الدولة المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، القاهرة، مركز خالدون للدراسات الإنمائية- دار الأمين للنشر.

22) شلتوت محمد، (1962)، الإسلام والتكافل الاجتماعي، ط1.، القاهرة، مطبعة الأزهر.

المنارة للاستشارات
ww

23)الشعراوي محمد متولي، (1997)، تفسير الشعراوي "الخواطر"، ط.1، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.

24)عوض أحمد عبد، (2008)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط1، القاهرة، ألفا للنشر والتوزيع.

25)عبد العال أحمد عبد العال، (1997)، التكافل الاجتماعي في الإسلام، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

26)عبد العزيز الخياط، (1982)، المجتمع المتكافل في الإسلام، عمان، مؤسسة الرسالة.

27)عبد الفتاح عاشور، (1979)، منهج القرآن في تربية المجتمع، مصر، مكتبة الخانجي.

28)عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، (1996)، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط.1، القاهرة، مكتبة المعهد.

29)عوض عبد الحميد عيد، (2014)، أسس النظام الاجتماعي في الإسلام، الإصدار 83، الكويت، روافد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

30)عبد الكريم زيدان، (2002)، أصول الدعوة، ط.9، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.

31)عديلة أمال، (2011)، الفعل التطوعي في ظل التغير الاجتماعي في الجزائر، بحث ماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح بورقلة، كلية الآداب.

32)علوان ناصح، (2007))، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط7، القاهرة، دار السلام.

33)عبد الباقي محمد فؤاد، (1364)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط.2، القاهرة، دار الكتب المصرية.

34)فكار رشدي، (1980)، علم الاجتماع معجم موسوعي عالمي، باريس، دار النشر العالمية.

35)القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري،(2007)، الجامع لأحكام القرآن، ضبطه محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمود حامد عثمان، القاهرة، دار الحديث.

36)القرضاوي يوسف،(2008)، أصول العمل الخيري في الإسلام، ط.2، القاهرة، دار الشروق.

37)القرضاوي يوسف، (2009)، التكافل الاجتماعي في ضوء الشريعة، القاهرة، مكتبة وهبة.

38)قطب سيد، (1993)، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط.13، القاهرة، دار الشروق.

39)محمد عمارة،(1998)، الإسلام والأمن الاجتماعي، ط.1، القاهرة، دار الشروق.

المنارة للاستشارات
ww

40)محمد فاروق النبهان، (1985)، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي، ط.3، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

41)محمد الحبيب التجكاني، (1990)، الإحسان الإلزامي في الإسلام وتطبيقاته في المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

42)محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط.4، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

43)المدغري عبد الكبير العلوي، (1999)، التكافل الاجتماعي في الاسلام، ط.1، منشورات وزارة الأوقاف المغربية.

44)الموسوي السيد هاشم،(1992)، النظام الاجتماعي في الإسلام، ، ط.1، بيروت ، دار الصفوة للطباعة والنشر.

45)الناصري محمد المكي، (1985)، التيسير في أحاديث التفسير ، ط.1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

46)النملة، علي بن إبراهيم، (1434)، العمل الاجتماعي والخيري، التنظيم-التحديات-المواجهة، ط2، الرياض، مكتبة الملك فهد للنشر.

47) النووي يحيى بن شرف،(1981)، صحيح مسلم بشرح النووي، ط2، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

48) واصف منصور، (2007)، المجتمع المدني الضرورات التحديات والمحاذير، ط.1، الدار البيضاء، دار النشر المغربية.

المنارة للاستشارات